﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: 23]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـرُّجـوع إلى شـرح مـا جرى مـن أحـداث لـيـوسـف عليه السلام في مـنـزل بيت العزيز، وابْتلائِهِ بفتنة المراوَدة

في هذه الآية رجوع إلى شرح ما جرى على يوسف في منزل العزيز، بعد ما أمَر امرأته بإكرام مثواه، من مُراودتها له وإبائه[1]؛ كما أنَّه لمَّا أخبر تعالى أنَّ سبب النِّعمة عليه إحسانُه في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ [يوسف: 22]، أتْبعه دليلَ ذلك الإحسان[2]، وقد كان يوسف نزيه القلْب والخُلُق والوِجدان، فعزّ عليه أنْ يخون سيّده الّذي ربّاه وأحسن إليه، فيُلوّث عِرضه، ويَمدّ عيْنيه إلى ما متّعه الله به، برغْم الإغواء الشّديد، والإغراء المَديد، فاعتصمَ بهَدي الله، فعصمَهُ الله مِن الولوغ في الفاحشة المُزرية، واللّذة المُغْرية.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾: طَلَبَتْهُ بهَوًى ومَيلٍ، يُقال: أَرادَ الرَّجُلُ كَذا إرادَةً وهوَ الطَّلَبُ والاخْتِيارُ[3]، وراوَدْتُهُ على كذا مُراوَدَةً ورِوادًا؛ أيْ: أرَدْتُهُ وطَلَبْتُ مِنْهُ فِعْلَهُ[4]، وأَصْلُ (رود) يدلُّ على مَجيءٍ وذَهابٍ مِن انْطِلاقٍ في جِهَةٍ واحِدةٍ[5]، يُقال: رادَتِ الإبلُ: اختلَفَتْ في المَرعى مُقبِلَة ومُدْبِرةً[6] فهي حَرَكَةُ انْتِقالٍ، أو تَرَدُّد بِخِفَّةٍ وعَدَم ثَباتٍ واسْتِقرار، كحَرَكة الإبِلِ والدَّوابّ، ومِن ذلك مُراوَدَة الرَّجُلِ امْرَأَةً

(1) القاسميّ، محاسن التَّأويل: 6/164.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 10/56.
(3) الفيّوميّ، المصباح المنير: (رود).
(4) الجوهريُّ، الصّحاح: (رود)، والمصطفويُّ، التَّحقيق في كلمات القرآن: 4/270.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رود).
(6) ابن سيده، المُخصّص: (المراعي والرّاعية)، وابن منظور: (رود).

عن نَفْسِها، أو المرأةِ الرَّجُلَ عن نَفْسِه، فهي مُجارّة ومُجاذَبَةٌ، فالمُراوِدُ يحاول جَذْبَ الآخَر مَرّةً بَعْد مَرّةٍ، وجاء مَعْنى المُحاولة مِن صيغةِ المُفاعَلَة[1]، والمَعْنى هُنا: حاوَلَتْهُ على ما تُريدُ بالتَّحَيُّلِ لِمُواقعته إيَّاها[2].

2) ﴿وَغَلَّقَتِ﴾: تدُلُّ تَصاريفُ الكَلِمة على نُشوبِ شَيْءٍ في شَيْء، يُقالُ: أَغْلَقْتُ البابَ فهوَ مُغْلَقٌ، والاسْم الغَلَقُ[3]؛ واحْتَدّ فلانٌ فَنَشَب في حِدَّته فَغَلِقَ؛ أيْ: غَضِبَ[4]؛ ومَكانٌ غَلِقٌ: ضَيِّقٌ كأنَّه يُمْنَع الدُّخولُ إلَيْه[5] قالَ سيبويْه: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾، لِلتّكثير[6]، وذلك إذا أَغْلَقت أبْوابًا كَثيرة، أو أَغْلَقْتَ بابًا واحدًا مِرارًا، أو أَحْكَمت إغْلاقَ بابٍ فيَكون لِلمُبالَغَة[7]. وغلّقَ الباب وانْغَلَق، واسْتغْلقَ، إذا عسُر فَتْحُه[8].

3) ﴿هَيْتَ لَكَ﴾: هَيْتَ: اسْمُ فِعْلٍ بمَعْنى: أَقْبِلْ، هَلُمَّ إلى ما أَدْعوكَ إلَيْه. يُقال: هَيَّتَ فلانٌ لِفلانٍ؛ إذا دَعاهُ وصاحَ به، وأصْلُ (هيت): يَدُلُّ عَلى الصَّيْحةِ، ويَقولون في مَعْنى هَيْتَ لَك: هَلُمَّ[9]، وتَقولُ لِلرَّجُل: هيتَ لَك؛ أَيْ: أسْرِع[10]، قالَ الزّجّاج: وأكْثَرها (هَيتَ لَك)، بفَتْحِ الهاءِ والتّاء، ورَوى ابنُ عبّاس ﷺ: (هِئْتُ لك) بالهَمْزَة وكَسْر الهاء، مِن الهَيْئَة، كأنّها قالتْ: تَهَيَّأْتُ لك[11]، والمَعنى هُنا: هَلُمَّ لَك، وادْنُ وتَقَرَّب، وقُرِئَ (هيت) بِكَسْر الهاءِ وفَتْحها مع فَتْح التّاء لِلخِطاب، و(هِئْتُ) مَهْموزًا مع ضَمَّةِ التّاء لِلمُتَكلِّم؛ أيْ: تَهَيَّأْتُ لك[12].

4) ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أَلْتَجِئُ إليه، وأسْتَنْصِرُ به[13]، يُقال: عُذْتُ بِفُلانٍ واسْتَعَذْتُ به؛ أيْ:

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رود).
(2) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 2/455، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/250.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (غلق).
(4) الخليل، العين: (باب الغين والقاف واللّام).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غلق).
(6) سيبويه، الكتاب: 4/96.
(7) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: (غلق)، والبيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 3/160.
(8) ابن منظور، لسان العرب: (غلق).
(9) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (هيأ)، وابن قُتيبة، غريب القرآن، ص: 215، وابن الجوزيّ، تذكِرة الأريب، ص: 171.
(10) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة: (هأوي).
(11) ابن سيده، المُحكم: (هيت).
(12) ابن جرير، جامع البيان: 16/25.
(13) الرّاغب، المفردات: (عوذ).

لَجَأتُ إليه، وعاذَ يَعوذُ: لاذَ بِهِ ولَجَأَ إليه واعْتَصَم[1]، والعياذُ: اللِّياذُ بِشَيء، والاحْتِماءُ به، وهو عِياذي؛ أيْ: مَلْجَئي[2]، وعوَّذه إذا وَقاهُ، وأصْلُ (عوذ): الالْتِجاءُ إلى الشَّيْء[3]، ومَعْنى مَعاذَ اللّه؛ أيْ: أَعوذُ باللّه مَعاذًا بِجَعْلِهِ بَدَلًا مِنَ اللَّفْظِ بِالْفِعْلِ؛ لأَنَّه مَصْدَرٌ[4]، ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ: «أنّه تَزَوّجَ امْرَأةً مِنَ العَرَبِ، فلَمّا أُدْخِلَت عَلَيه قالَتْ: أَعوذُ باللّه مِنْك، فقالَ لَها: لَقَد عُذْتِ بِمَعاذٍ، فَالْحَقي بِأَهْلِك». والمَعاذُ في هذا الحَديث: الّذي يُعاذُ بِه. واللّه جلّ وعزّ (مَعاذُ) مَن عاذَ به، و(مَلْجأُ) مَن لَجَأَ إلَيه"[5].

5) ﴿مَثْوَايَ﴾: تَدُلُّ تَصاريفُ الكَلِمة على الإقامةِ، يُقالُ: ثَوى يَثْوي فَهوَ ثاوٍ إذا أَقامَ بِالْمَكانِ[6]، والثَّواء: الْمَقام في الْمَوْضع مَع الاسْتِقرار فيه[7]، والمَثْوى: الْمَنْزِلُ، مِنْ ثَوى بِالْمَكانِ يَثْوي إذا أَقامَ فيهِ[8] والمَعنى هُنا: تَولّاني في طولِ مقامي[9]. قالَ الزّجّاج: أَرادَ: إنّ العَزيزَ صاحِبي، أَحْسَن مَثواي، ويَجوزُ أنْ يَكونَ: اللّه رَبّي، أحْسَن مَثواي"[10].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مُـــراودةُ امـرأة العَـزيـز يوسفَ عـــن نـفـسـه، وتمنُّعه منها، مستعيذًا بالله مِـن الفاحشة والخيانة

طلَبَت امرأة العزيز – برفْق ولِين وإعمال حيلة – مِن يوسف عليه السلام وقد كان يعيش في بيتها؛ فِعلَ الفاحشة، لِحُبّها الشَّديد له، فأوْصدت الأبواب وأحكمت إغلاقها، إمعانًا في الخَلْوة، وقالت له: هَلُمَّ وتعال إليّ، فقال يوسف: أعتصمُ باللّه وأستجير به ممَّا دعوْتِني إليه، مِن

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (عوذ).
(2) الرّاغب، المُفردات: (عوذ).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عوذ).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (عوذ).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (عوذ).
(6) ابن دريد، جمهرة اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ثوي).
(7) الأصفهانيُّ، المفردات، وابن دريد، جمهرة اللُّغة: (ثوي).
(8) ابن الأثير، النّهاية: (ثوا).
(9) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/427.
(10) ابن سِيدَه، المُحكم: 2/427.

خيانة سيّدي الّذي أحسن منزلتي وأكرَمني، فلن أخونه، فإنْ خنتُه كُنت ظالمًا، إنَّه لا يفوز الظّالمون[1]، وفي ذلك تعبير عن الخشيَة مِن ربّه، والوفاء لمَن مدّ له عوارف الإحسان، وسَوانِح الفضل والامتنان، وهي قُدوة عُلْيا، لكلّ شابٍّ ترميه المقادير، إلى لُجّة الابتلاء، المتلاطِمة الأمواج، بالمفاسد والإغراءات، ذات البهارِج الفاتنة، والمفاتن الآفِنَة.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة العَطْف في قوله: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾:

تـقـريـر ثـبـات يـوسـف عـلى مـدارج العِفّة، وأصول الأخلاق المُـفـضـيَـة إلى التَّمكين

قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾، هذه الجملة عطْف قِصَّة على قِصَّة، وحدَثٍ على حَدَثٍ، فلا يلزم أنْ تكون هذه القصّة حاصلةً في الوجود بَعد الّتي قَبلها، وقد كان هذا الحادث قبل إيتائه النُّبوَّة؛ لأنَّ إيتاء النُّبوَّة غَلَب أنْ يكون في سنِّ الأربعين؛ والأظهر أنَّه أُوتيَ النُّبوَّة والرّسالة بَعد دخول أهله إلى مصر، وبعد وفاة أبيه، وقد تَعَرَّضت هذه الآية لتقرير ثبات يوسف عليه السلام على العفاف والوفاء وكرم الخُلق[2]، فهي رجوع إلى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز، بعدما أمَر امرأتَه بإكرام مثواه[3].

فهذه الجملة معطوفة على جملة وصيَّة العزيز لامرأته بإكرام مثواه، وما عللها به من حُسْنِ الرَّجاء فيه، وما بيّنه الله تعالى من عنايته به وتمهيدِ سبيل الكمال له بتمكينه في الأرض[4].

سِرُّ انتخاب لفظة ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾:

الإشعار بأنَّه كان منها الإلْحاح بالتَّحايُل والإغراء، ومنه الامتناع والإباء

المُراودة: المُلاطفة في السَّوْق إلى غرض، وأكثر استعمال هذه

(1) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآن الكريم، ص: 334، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 238، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المخْتَصَر، ص: 238.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/249، والخطيب، التَّفسير القرآنيُّ: 6/1252.

(3) الجمل، حاشية الجمل على الجلالَيْن: 4/21.

(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/275.

اللَّفظة إنَّما هو في هذا المعنى الّذي هو بيْن الرِّجال والنِّساء؛ ويُشْبه أنْ يكون مِن رادَ يَرود إذا تقدَّم لاخْتِبار الأرض والمَراعي، فكَأنّ المُراوِد يختبِر أبدًا بأقواله وتلطُّفه حال المراوَد مِن الإجابة أو الامتناع[1].

والتَّعبير عن حالها معه بالمُراودة المقتَضيَة لِتَكرار المحاوَلة، للإشعار بأنَّها كان منها الطَّلب المُستمرّ، المَصحوب بالإغراء والتَّرفّق والتَّحايل على ما تشتهيه منه بشتّى الوسائل والحِيَل، وكان منه ﷺ الإباء والامتناع عمَّا تُريده خوفًا مِن الله تعالى[2].

سِرُّ اختيار صيغة ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾:

الإشـــارة إلى سبب المبالَغة، في رَوْدِهـــا وتمحُّلها

قوله: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾، مِن المُراوَدة وهي: المُطالبة برِفق، مِن رادَ يَرود إذا ذهب وجاء، وهي مُفاعَلة مِن واحدٍ، نحْو مُطالبة الدّائن، ومُماطَلة المَدين، ومُداواة الطَّبيب وغير ذلك، ممَّا يكون مِن أحد الجانبَيْن الفعل، ومن الآخَر سبَبه، فإنَّ هذه الأفعال وإنْ كانت صادرةً عن أحد الجانبيْن لكنْ لمّا كانت أسبابها صادرة عن الجانب الآخَر، جُعلت كأنَّها صادرة عنهما، وهذا باب لطيف المَسلَك مَبنيٌّ على اعتبار دقيقٍ، تحقيقه أنَّ سبب الشَّيْء يقوم مقامه، ويُطلق عليه اسمه، كما في قولهم: (كما تَدين تُدان)؛ أيْ: كما تَجزي تُجزى، فإنّ فعل البادئ، وإنْ لَم يَكن جزاءً، لكنَّه لكونه سببًا للجزاء، أُطلِق عليه اسمُه، فإنَّ مُطالبة الدّائن للمُماطلة الّتي هي مِن جانب الغَارم، وهي منه للمُطالبة الّتي مِن جانب الدّائن، وكذا مُداواة الطَّبيب للمرض الّذي هو مِن جانب المريض، وكذلك مُراوَدتها فيما نحن فيه لِجَمال يوسف ﷺ، نُزِّلَ صُدورها عن مَحالِّها بمنزلة صدور مُسبّباتها، فبنى الصّيغة على ذلك ورُوعيَ جانب الحقيقة، بأنْ أُسند الفعل إلى

(1) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 3/232.
(2) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط 7/338.

الفاعل وأُوقع على صاحب السَّبب، ومعنى المُفاعلة هاهُنا إمّا المبالغة في رَوْدِها وتمحُّلِها[1]؛ فالمعنى: خادعت زُلَيخا يوسفَ ﷺ عن نفْسه، لتَنال غرضها؛ أيْ: فَعَلَتْ ما يفعل المُخادع لصاحبه عن شيء لا يُريد إخراجه عن يَدِه، وهو يَحتال أنْ يأخذه منه، وهي عبارة عن التَّمحُّل في مواقعته إيّاها، والمَحْلُ طَلَبٌ بحيلة وتكلُّف[2].

معنى ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾:

ويصحّ أنْ تكون الصّيغة على بابها بمعنى أنّها طَلَبت منه الفعل وهو طَلَب منها التَّرك[3]، فاعتُبر العملُ مِن جانب والمُمانَعةُ مِن الجانب الآخَر[4]، وكان لِكلٍّ منهما مقصدٌ مختلف، فصارت تطلب منه الفعل وهو يطلب التَّرك، كما تقول: جاذبته عن كذا؛ لأنَّ (عن) تَدُلُّ على البُعد، فكأنَّها تجذبه لنفْسها جذبًا بالغًا، وهو يتباعَدُ عنها تباعدًا مقصودًا[5].

الدّلالة على اختلافهما في الفِعْلِ والمقصد

بلاغة الاستعارة في لفظ المُراوَدة:

سبَق بيان أنَّ المُراودة في قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾ مُشتقَّة مِن راد يرود، إذا جاء وذهب، والمعنى هُنا: راجعَتْه الخِطابَ ودارت عليه بالحِيَل، فشَبَّه حالَ المُحاوِل إرضاخَ أحدٍ على فعل شَيء مُكَرِّرًا ذلك بحال مَن يذهب ويجيء في المُعاودَةِ إلى الشَّيء المذهوب عنه، فأطْلَق راودَ؛ بمعنى: حاوَلَ[6] بطريق الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة.

تَشبيه صورة مُراجعتها له، وتَكرار طَلَبِها بالمُراودَة، جيئَةً وذهابًا

فالمُراودة هي تَكرار المحاوَلة، وهذا التّكرار لازم معنى رادَ يَرود

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/256، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/264، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/401.
(2) حقّي، روح البيان: 4/234.
(3) الجَمل، حاشية الجمل على الجلالَيْن: 4/21.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/250.
(5) ملّا حويش، تفسير القرآن العظيم: 3/189.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/250.

إذا جاء وذهب؛ لأنَّ مادّة (راد) واويّةٌ ويائيَّةٌ بجميع تقاليبها السَّبعة: (رود، ودور، وورد، ودير وردي، وريد، ودري) تتمحور جميعها حول معنى الدَّوران، وهو الرُّجوع إلى موضع الابتداء، ويلزم منه القصْد والإتيان، والإقبال والإدبار، والرِّفق والمُهلة، وإعمال الحيلة[1].

نكتة ذِكر المُراوَدة في الآية الكريمة:

بيان صِفة المُخادَعة والاحتيال

لفْظُ المُراوَدة يدلُّ على المُخادَعة، والمُخاتَلة، والتَّدسُّس إلى النَّفْس في أسلوبٍ مِن التَّلطُّف والاحتيال[2]؛ والمُراودة أنْ تُنازِع غيرَك في الإرادة، فتُريد غير ما يُريد، أو تَرُود غيرَ ما يرود، وامرأة العزيز خادعتْ يوسفَ عن نفْسه وراوغتْه، ليُريد منها ما تريد هي منه مخالفًا لإرادته وإرادة ربِّه، واللّه غالب على أمْره[3]؛ وقد وردتْ في السّورة مع هذا الموضع في قول يوسف: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾، وقول النّسوة: ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ﴾؛ أيْ: تَصْرِفُه عن رأيه، وعلى ذلك قولها: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [يوسف: 32][4]، ومنها قَوْلُ إخوة يوسف له: ﴿سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾ [يوسف: 61]؛ أيْ: نَحتال عليه، ونخدعه عن إرادته ليُرسِل أخاه معنا، وراوَدَه عن نفْسه: خادَعه عنها وراوَغه[5].

سِرُّ العدول في قوله: ﴿ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾:

تقرير المراوَدة، والإيذان بعِصمة يوسف عليه السلام

قوله سبحانه: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾، وفيه التَّعبير عن امرأة العزيز بطَريق الموصوليَّة، في قوله: ﴿ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ دون امرأة العزيز، مع أنَّه أخْصَر لتقرير المراوَدة، ولقصْد ما تُؤذِن به الصِّلة مِن تقرير عِصمة يوسف عليه السلام[6]؛ فإنَّ كونه في بيتها ممَّا يدعو إلى ذلك، ولإظهار كمال نزاهته عليه السلام، فإنَّ عدم مَيْله إليها مع دوام

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 10/56.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 6/1252.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 12/129.
(4) الرّاغب، المفردات: (رود).
(5) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/275.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/250، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 6/164.

مشاهدته لمَحاسنها واستعصائه عليها مع كونه تحت يَدِها، يُنادي بكونه ﷺ في أعلى مَعارج العِفَّة[1].

القرآن مَؤئلٌ لأدب الخِطاب

كما أنَّ في التَّعبير بالمَوصول دون ذِكر لاسْمها سَترًا لها، وابتعادًا عن التَّشهير بها، وهذا مِن الأدب السَّامي الّذي التزَمه القرآن، في تعبيراته وأساليبه، حتَّى يتأسَّى أتباعه بهذا اللَّون مِن الأدب في التَّعبير[2].

دلالة الظَّرفيَّة في قوله: ﴿فِي بَيْتِهَا﴾:

الكناية عن التَّبعيَّة لمنزلها، وأنَّها ذاتُ سُلطان عليه

معنى ﴿فِي بَيْتِهَا﴾ أنَّه مِن جملة أتباع ذلك المنزل[3]، وفيه إشارة إلى أنَّها ذات سلطان عليه، وأنَّه رَبيبُ نِعمتها، ونزيل بيتها، والحال أنَّها هي سيّدة له حاكمة عليه، وأنَّ لها أنْ تأمُر وعليه أنْ يُطيع، ولكنَّها جاءته مترفِّقة، مُتلطِّفة إذ كان هذا الأمْر الّذي تدعوه إليه لا يُجاءُ له بأسلوب الأمْر والقهْر[4]. فقوله: ﴿فِي بَيْتِهَا﴾ يُغري بالاستجابة لها، ومع ذلك فقد أعرَض عنها، ولَم يُطاوعْها في مُرادها[5].

دلالة الإضافة في ﴿بَيْتِهَا﴾:

الكناية عن بيت امرأة العزيز، وقصر العزيز بأكمله

وبيتها: محلّ سُكناها الّذي تَبيت فيه أو الجزء المُخصّص للنّساء كما جرت عليه العادة في بيوت الكبراء، فمعنى: ﴿هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ أنَّه كان حينئذٍ في البيت الّذي هي به، ويجوز أن يكون المُراد بالبيت: المنزلَ كُلَّه، وهو قصْر العزيز، ومنه قولهم: ربَّة البيت؛ أيْ: زوجة صاحِب الدَّار، والعرَب تضيف البيوت إلى النِّساء باعتبار أنَّهن القائمات بمصالحه أو المُلازمات له[6]، ويكون معنى ﴿هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ أنَّه مِن جملة أتباع ذلك المنزل[7].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/401.
(2) طنطاويّ، الوسيط: 7/338، والهرريّ، حدائق الرّوح والرَّيحان: 13/370.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/250.
(4) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ: 6/1252، وعلوان، الفواتح الإلهيَّة: 1/371.
(5) طنطاويّ، الوسيط: 7/338.
(6) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/401.
(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/250.

فائدة جمع الظَّرفيَّة والإضافة في الآية:

الإشارة إلى عِفَّة يـوسـف عليه السلام برغم الظُّروف الضّاغِطة

في قوله تعالى: ﴿هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ إشارة إلى عِفَّة يوسف عليه السلام، وإظهار لِكمال نزاهته رغْم الظُّروف المواتيَة للانحراف، فإنَّ كونه في بيتها يُغري بالاستجابة لها؛ وعدم ميْله إليها مع دوام مشاهدته لَمحاسنها، وامتناعه منها مع كونه تحت مَمْلَكتها، يُنادي بكونه في أعلى مَعارج العِفَّة والنَّزاهة[1].

معنى ﴿عَن﴾ ودلالة التعدية به:

إفـادة معنى المـجـاوَزة، بأن يُباعد نفْسه، ويجعلها لها، فكأنَّها تجذبه، وهو يَتباعد عنها

في قوله: ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ نَجِد أنّ ﴿عَن﴾ للمُجاوَزة؛ أيْ: راودتْه مُباعِدَةً له عن نفْسه؛ أيْ: بأنْ يَجعل نفْسه لها[2]، يُقال: جاذبتُه عن كذا دلالة على الإبعاد، وتحصيل الجذب البالِغ، وعُدِّي فعل المُراودة بـ ﴿عَن﴾، لتَضمُّنه معنى المُخادَعة؛ أيْ: فعلَتْ ما يَفعل المخادِع بصاحبه عن الشَّيْء الّذي لا يُريد أنْ يُخرجه مِن يَدِه، ولا شَكَّ أنَّ هذا إنّما يحصل مِن المُنازَعة في الرَّوْد[3]، فجيءَ بـ ﴿عَن﴾ بدَل (من)، دلالة على أنَّها نازعَتْه في ذلك؛ لأنَّ ﴿عَن﴾ تدلُّ على البُعد، فكأنَّها تجذبه لنفْسها جذبًا بالِغًا، وهو يتباعد عنها تباعدًا مقصودًا، وهذا إعلام بكمال نزاهته، وإظهار عِفَّته[4]، "وقد يُخصّ بمحاولة الوِقاع، فيُقال: راودَ فلان جاريته عن نفْسها، وراودَتْه هي عن نفْسه؛ إذا حاول كلٌّ منهما الوَطءَ والجماعَ، وهي مفاعلَة، وأصلُها أنْ تكون مِن الجانبَيْن، فجُعل السّبب هنا في أحَد الجانبيْن، قائمًا مقام المُسبِّب"[5].

بلاغة الكناية في قوله: ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾:

النَّـفْـس أُريـد بها الكناية عن غرض المواقَعة، وتمكينها منه لِما تُريد

شبّه الجملة: ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ كناية عن غرض المواقَعة، والظَّاهر

(1) حقّي، روح البيان: 4/234.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/250.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/381.
(4) ملّا حويش، تفسير القرآن العظيم: 3/189.
(5) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/20.

أنَّ هذا التَّركيب مِن مُبتَكرات القرآن، فالنَّفْس هُنا كناية عن غرض المواقَعة[1]، والنَّفْس أُريد بها عفافُه وتمكينُها منه لِما تريد، فكأنَّها تراوِده عن أنْ يُسلم إليها إرادته وحُكمه في نفْسه[2]، فطلَبَت واحتالَتْ عليه لِتَنال غرضها منه[3].

فائدة صيغة الفعل ﴿وَغَلَّقَتِ﴾:

الدَّلالة على شِدَّة الفعل وقوَّته، مُبالَغة في الإيثاق

تضعيف ﴿وَغَلَّقَتِ﴾ لإفادة شِدَّة الفعل وقوَّته؛ أيْ: أغلقت إغلاقًا مُحكمًا[4]، بل حاولت أنْ تجعلها حيطانًا لا يسهل الوصول لأحدٍ منها؛ لذلك عبّر القرآن بقوله: ﴿وَغَلَّقَتِ﴾ بتشديد اللَّام، فهي الَّتي أغلقت الأبواب بنفْسها، وأحكمت إغلاقها[5]، فالتَّشديد لِلتَّكثير في المفعول إنْ قيل بتعدُّدها، وقد يكون لِتَكثير الفعل، فكأنّه غُلِّق مَرّةً بَعد مَرّة أو بِمِغْلاق بَعد مِغلاق، بأنْ أقفلَتْها بقُفلَيْن أو ثلاثة مثلًا، أو أسندَتْ إليها مِن داخلٍ ما لا يُطاق مِن خارجٍ، وحينها يكون التَّشديد للمُبالَغة في الإيثاق[6] زيادةً في حمْله على الاستجابة[7] لها، فالتَّشديد لِتَوضيح "المبالَغة في الحدَث؛ أو لتَكرار الحَدث، فهي قد أغلقَتْ أكثرَ مِن باب. ونحن حين نُحرِّك المِزلاج لنؤكِّد غَلْق الباب، ونُحرّك المِفتاح، ونديره لتأكيد غَلْق الباب.. فهذه عمليّة أكبر مِن غَلْق الباب؛ وإذا أضفْنا مِزْلاجًا جديدًا، نكون قد أكثرْنا الإغلاق لبابٍ واحد؛ وهكذا يمكن أن نَصِفَ ما فعلنا بأنّنا غلّقنا الباب"[8]، والسَّبب أنَّ ذلك العمل لا يُؤتى به إلَّا في المواضع المَستورة، لا سيّما

(1) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 3/232، والثَّعالبيّ، الجواهر الحسان: 3/318.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/250.
(3) السّيواسيّ، عيون التَّفاسير: 2/229.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/250.
(5) شحاتة، تفسير القرآن الكريم: 12/2311.
(6) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 3/160.
(7) طنطاويّ، الوسيط: 7/338.
(8) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 11/6906.

إذا كان حرامًا، ومع قيام الخوْف الشَّديد[1]، ولكن لمَّا غَلَّقت عليه أبواب المَسْكن؛ فتَح الله عليه باب العِصمة، فلَم يَضُرَّه ما أُغْلِق بعدَ إكرامه بما فُتِح[2].

دلالة جمْع ﴿ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ في الآية:

الدَّلالة على أنَّ معنى التَّكثير، واردٌ في الفعل والمفعول

في قوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ ذكَر المفسّرون أنّ الأبواب كانت سَبْعة، وأغلقَتْها كلَّها، وذلك كثير ولو كانت ثلاثة أو أكثر ممَّا هُو دون جمْع القِلَّة[3]، فالمعنى أنَّها أحكَمت إغلاق باب المِخْدع الّذي كانا فيه، وباب البَهْو الّذي يكون أمام الحُجرات والغُرَف في بيوت الكُبراء، وباب الدَّار الخارجيِّ، وقد يكون في أمثال هذه القصور أبواب أُخرى مُتداخلة[4]، وإنْ كان التَّكثير للفعل دون المفعول، فجمْع الأبواب حينئذٍ إمَّا لجَعل كُلِّ جزء مِن الباب كأنَّه بابٌ، أو لِجَعل تَعَدُّد أَغْلاقِه بمنزلة تعدّده[5].

سبب استعمال ﴿هَيْتَ﴾:

الكشْف عن رغبتها بأخْصَر طريق لائقة ببيان الذِّكر الحكيم

﴿هَيْتَ لَكَۚ﴾؛ أيْ: ها أنا ذا مُهيَّئة لك فأسرِع في الإقبال عليَّ، وهذه الدّعوة السّافرة منها له، تدلّ على أنّ تلك المرأة كانت قد بلغَت النّهاية في الكشْف عن رغبتها، وأنّها قد خرجت عن المألوف مِن بنات جِنسها، فقد جرَت العادة أنْ تكون المرأة مَطْلوبةً لا طالِبة؛ لأنّ كلمة ﴿هَيْتَ﴾ اسم فِعْل أمْر بمعنى أقبِل وأسرِع، فهي كلمة حَضٍّ وحَثٍّ على الفعل[6]، وكان سبب اختيارها أنَّها أخْصَر ما يؤدّي المراد، بأكمل النَّزاهة اللَّائقة بالذِّكر الحكيم[7].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/437.
(2) القُشيريّ، لطائف الإشارات: 2/177.
(3) أطْفَيِّش، تيسير التّفسير: 7/96.
(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/275.
(5) الخفاجيّ، عناية القاضي: 5/286.
(6) طنطاويّ، الوسيط: 7/338.
(7) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/275.

بيان توجيه القراءات في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾:

التَّهيُّؤ منها إعدادٌ وأمرٌ، وتهيُّؤ الفُرصة بالخلْوة تَخَفٍّ وسِتْرٌ

قرَأ نافع وأبو جعفر وابن ذَكْوان عن ابن عامر بكسْر الهاء، وفتح التَّاء مِن غير همْز (هِيتَ)، وقرَأ ابن كَثير بفتح الهاء، وياء ساكنة، وتاء مضمومة (هَيْتُ)، وقرَأ هشام عن ابن عامر بكسر الهاء، وهمزة ساكنة، وتاء مفتوحة (هِئْتَ) وقرَأ الباقون بفتح الهاء وياء ساكنة وتاء مفتوحة ﴿هَيْتَ﴾[1]. وهذه القراءات كُلُّها لُغات، وهي فيها اسْم فعْل بمعنى: هَلُمَّ، وليست التَّاء ضميرًا، إلَّا على قراءة ضَمّ التَّاء مع الهمْز وترْكِه، فإنّ الكلمة عليها تحْتَمل أنْ تكون فعْلًا رافعًا لضمير المُتَكلِّم، مِن: هاءَ الرَّجلُ يَهيءُ، كجاء يَجيءُ؛ إذا حَسُنَتْ هيئَتُهُ، أو بمعنى تَهَيَّأْتُ، يُقال: هِئْتُ وتهيّأت بمَعنًى، وإذا كانت فعلًا تعلَّقت اللَّام بها[2]، وعلى قراءة هشام (هِئْتَ) يكون المعنى: تَهَيَّأَ لي أَمْرُك؛ لأنَّها لَم يتيَسَّر لها الخلوةُ به قبلُ، أو يكون المعنى: حَسُنَتْ هَيْئَتُكَ، وتكون ﴿لَكَ﴾ على الوجهَيْنِ بَيانٌ[3].

و﴿هَيْتَ﴾ قرِئَت كـ (لَيْت) و(قَيْل) و(حَيْث)، وبكسْرِ الهاء وبهمْزة ساكنة بعدَها، وفتْحِ التّاء وضمِّها، وهي في هذه اللّغات اسم فعل بمعنى (تَعال). ونُقل عن الفرّاء أنّها لغة لأهل حوران، سقطَتْ إلى مكّة فتكلّموا بها[4].

معنى اللَّام وفائدتها في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾:

زيادة بيان المقصود بالخِطاب (المفعول به)

(اللَّام) في ﴿لَكَ﴾ لزيادة بيان المقصود بالخِطاب، كما في قولهم: سُقيًا لك، وشكرًا لك، وأصلُه: هَيتك[5]؛ وهذا الأسلوب هو الغاية في الاحتشام في التّعبير، وقد يكون هناك ما زادَتْه مِن إغراء وتهييج، ممّا تقتضيه الحال[6].

(1) ابن الجزريّ، النَّشر: 2/294.
(2) السَّمين الحلبيُّ، الدُّرّ المَصُون: 4/167، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/401.
(3) ابن الجزريّ، النَّشر: 2/294، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/289.
(4) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/164.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/160.
(6) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 12/129.

سرّ تخصيص ﴿لَكَۡ﴾ بالطَّلب:

التّصريح بالرّغبة الآثِمة يعيّن الجهة المرادة؛ لإدراك الغاية مِن العبارة

يدلُّ قوله ﷻ: ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۡ﴾ أيضًا على أنَّ النِّداء ليوسف، ولعلَّه تغافل عنها، أو لَم يستجِب ابتداءً لكلامها، أو لَم يَفهم، فقالت: النِّداء لك، فلمَّا علِم ما تريد صراحةً مِن غير مداوَرة ولا موارَبة، صرّح هو الآخَر بردِّها، فردّ بأنّ ذلك لا يليق به، وصاحَ بقوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾[1].

نكتة معاني أصوات لفظ ﴿هَيۡتَ لَكَۡ﴾:

الإيحاء بشدَّة الرَّغبة والإلْحاح في الطَّلب

و﴿هَيۡتَ لَكَۡ﴾: هو صوت استدعاء لهذا الأمْر الّذي يكون بيْن الرّجل والمرأة، وقد جاء به القرآن الكريم على هذه الصّورة؛ لأنَّه يُحَدِّث عن حالٍ مِن شأنه أنْ يكون سِرًّا بيْن الرَّجل والمرأة، ولغةً مفهومةً لهما، لا يعرفها غيرهما[2]، فهي كلمة أقرب إلى مُناجاة خاصَّة، تطلُب بها الأنثى مَن يُريد مُخالطتها، وهي تُعَبِّر عن تضرُّع المرأة بِكُلِّ وسيلة تمْلِكها لإغراء الرَّجل الّذي تُريده[3]، هذه الصّورة لَم تعرِفْها اللّغة العربيّة في لسانها قبل نزول القرآن، وما ذهب إليه الذّاهبون مِن تأويلات لكلمة ﴿هَيۡتَ﴾ لا تنفع كثيرًا في مقارَبة المعنى المُتوخَّى لهذا اللّفظ الفصيح، قال عبد الكريم الخطيب: "خُذْها على أنّها حكاية صوْت، لا على أنّها مِن لغة التَّخاطُب المتعامَل بها في كل مقام!... إنَّها في مقامها هذا كلمة استِدْعاء... وكفى!"[4].

سِرُّ الجمع بيْن المُرَاوَدة القوْليَّة والعمليَّة:

الدّلالة على المُبالَغة، ملْمحٌ لاجتهاد في تحقيق المُراد

في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۡ﴾، دلالة على أنَّ المراوَدة القوليَّة، واللّين، والتَّلطّف معه، لتُحَوِّله عن إرادة نفْسه إلى إرادتها، تَبِعتها حركة عمليَّة، ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ ولَم يعُد مَنْفذٌ يمكّن

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3815.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 6/1252.
(3) شحاتة، تفسير القرآن الكريم: 12/2311.
(4) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 12/2311.

غيرهما مِن الاطّلاع على ما تُريد[1]؛ لأنّ مَن يفعل الأمْر القبيح يَعلم قُبح ما يفعل، ويحاول أنْ يستر فعله، وهي قد حاولت ذلك بعيدًا عن مَن يعيشون في القصْر، وحدَثَت المراوَدة، وأخذَت وقتًا، ثمّ انتقلَت مِن مرحلة المراودة إلى مرحلة الوضوح، في طلب الفعل؛ بأنْ قالت: تهيّأتُ لك[2]؛ وهذا كلّه يدلّ على المبالَغة بالاجتهاد في تحقيق المُراد.

سِرُّ تأنيث ضمائر الأفعال في الآية:

بـيـان شِـدَّة حرص الطَّالبة، وتعفُّف المطلوب

في تأنيث ضمائر الأفعال ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾ و﴿وَغَلَّقَتِ﴾ و ﴿وَقَالَتْ﴾، إشارة إلى أنَّها هي الّتي تولَّت بنفْسها الإعداد لهذا الأمر الّذي دعتْه إليه، فهي الّتي راودتْه عن نفْسه، بما ألْقَت إليه مِن كلماتٍ وإشارات وتلميحات، وهي الّتي غلّقت الأبواب، فكانت تلك دعوةً صريحة منها إليه، ثُمَّ هي الّتي حين رأَتْ أنَّ ذلك كلّه لَم يَدْعُه إليها، ولَم يُقرّبْه منها؛ دعتْه إلى نفْسها، وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَۚ﴾؛ أيْ: ها أنا ذا لك، فأقبِل مُسرعًا! وهذا ما لا تفعله الحُرّة ذاتُ الجاه والسُّلطان، إلَّا إذا كانت قد استبدَّت بها الرَّغبة، ثُمَّ لَم تَجِد مِن الجانب الآخَر استجابة منه لها، عندئذٍ تَخلع عِذار حيائها، وتتخلَّى عن مكانتها كامرأة تُطلَب ولا تَطلُب، وفي كلّ هذا ما يحدّث عن تعفّف يوسف عليه السلام، وعدم الاستجابة لداعي الشَّهوة أمام هذه المُغريات، الّتي تنحلُّ لها عَزَمات الرِّجال، وتطيش معها أحلام ذوي الحُلوم[3].

النُّكتة في انعدام العطْف بيْن ﴿وَقَالَتْ﴾، ﴿قَالَ﴾:

بـيـانُ سـرعـة الـرَّدّ والجـواب، حـسْـمًـا لـمـادَّة الـمـراوَدة وقطْعًا لها

قوله تعالى ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾، بيانٌ مُستأنَف لجواب يوسف، مبنيٌّ على سؤال تقديره: وماذا قال بعدَ تَسَفُّل المرأة - وهي سيّدة قومها - إلى هذه الدَّركة مِن التَّذلُّل له؟[4]؛ فجاء الجواب: ﴿قَالَ مَعَاذَ

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3815.
(2) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 11/6904.
(3) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 6/1252.
(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/275.

ٱللَّهِ﴾، بيانًا لِما رَدَّ به يوسف عليها، بعدَ أنْ تجاوزَتْ في إثارَتِه كُلَّ حَدٍّ، وجوابًا حاسِمًا لمادّة المراوَدة، صريحًا مُفصحًا عن خشية يوسف ﷺ لربِّه، والتجائه إليه، واعتصامه بحَوْله وقوَّته.

نُكتة التَّعبير بالمصْدر الميميّ ﴿مَعَاذَ﴾:

لا مُعتصَم في الفتَن الهُوج، إلّا بالله الّذي يَقي ويمنع، مِن الانزلاق والأهواء

لفظ ﴿مَعَاذَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ منصوب بفعل محذوف؛ أيْ: قال أعوذ باللّه مَعَاذًا ممَّا تطلبينه مِنِّي، وأعتصم به اعتصامًا ممَّا تحاولينه معي، فإنَّ ما تطلبينه وتُلحِّين في طلَبِه يتنافى مع الدِّين والمروءة والشَّرف[1]. فنُصب ﴿مَعَاذَ﴾ على المصْدر، يُقال: عُذْتُ عَوْذًا وعياذًا وعياذَةً ومَعاذًا، وهذا اجتنابٌ منه ﷺ على أتَمِّ الوجوه، وإشارة إلى التَّعليل بأنَّه مُنكَر هائل، يجب أنْ يُعاذ باللّه ﷻ للخلاص منه، وما ذلك إلَّا لأنَّه قد علِم بما أراه اللّه تعالى، أنَّ ما طَلَبَتْهُ منه هذه المرأة مِن غاية القبْح، ونهاية السّوء[2].

نكتة الإضافة في ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾:

استحضار عظمته تعالى في أحلَك المواقف، لكونه مصْدر الالتجاء مِن كلِّ سوء

﴿مَعَاذَ﴾ مصْدر أُضيف إلى اسم الجلالة في قوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ إضافة المصْدر إلى مَعموله، وأصْله: أعوذ عَوذًا باللّه[3]، وفي هذه الإضافة استحضارٌ لعظمته ﷻ في أحلَك المواقف؛ لكونه مصْدر الالتجاء والحماية مِن كلِّ سوء، والمعنى المُلْمح في عبارة: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: "أيْ: أعوذ باللّه ﷻ، وألْتجئُ إليه ممّا تريدين مِنّي، فهو يُعيذني أنْ أكون مِن الجاهلين، كما سيأتي مِن قوله ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: 33][4].

دلالة حرْف التَّوكيد (إنَّ):

تعليل مُفيد للنُّفور مِن الفاحشة، والاعتصام بالله تعالى منها

أفادت الأداة (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ تعليل

(1) طنطاويّ، الوسيط: 7/338.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/401.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/251.
(4) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 12/129.

ما أفاده ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ مِن الامتناع والاعتصام منه بالله، المُقتضي أنّ الله أمَر بذلك الاعتصام[1]، فهو تعليلٌ للامتناع ببعض الأسباب الخارجيَّة، مِمَّا عسى أنْ يكون مُؤثِّرًا عندها، وداعيًا لها إلى اعتباره بعدَ التَّنبيه على سببه الذَّاتيِّ الّذي تكاد تَقبله لِما سوَّلتْه لها نفْسها[2]، وهو تعليل أيضًا لنُفوره ممَّا دعتْه إليه، فاستعاذ بالله منْه[3].

سرُّ دخول الضَّمير على (إنَّ):

قوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾، الضَّمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ للشَّأن، وفائدة تصْدير الجملة به الإيذان بفخامة مضمونها، مع ما فيه مِن زيادة تقريره في الذِّهن، فإنَّ الضَّمير لا يُفهم منه مِن أوَّل الأمْر إلَّا شأنٌ مُبهَمٌ له خطر، فيبقى الذِّهن مُترقِّبًا لِما يعْقبه، فيتمكَّن عند وُروده له أفْضلَ تمكّن، فكأنَّه قيل: إنَّ الشَّأن الخطير هذا وهو رَبِّي[4]؛ أيْ: سيّدي العَزيز أحسَن تعهُّدي؛ إذ أمَرك بإكرامي على أكمَل وجْه، فكيف يمكن أنْ أُسيء إليه بالخيانة في حَرمِه؟! وفيه إرشاد لها إلى رعاية حَقِّ العزيز بألطَف وجْهٍ[5].

الإيذان بفخامة مضمون الجملة، مع زيادة تقريره في الذِّهن

معنى (الرَّبّ) في قوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾:

ضمير ﴿إِنَّهُۥ﴾ يجوز أنْ يعود إلى اسم الجلالة، ويكون ربِّي بمعنى خالقي، ومُوجِدي ومُدبِّري والمُحسِن إليّ في كلِّ أمرٍ، فأنا أرْجو إحسانه في هذا ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ بأنْ جعَل لي في قلب سيّدك مكانةً عظيمةً حتَّى خوَّلني في جميع ما يملك وائتمَنَني على كلِّ ما لديه، فإنْ خالفتُ أمْرَ ربِّي فخُنتُ مَن جعلني موْضعًا للأمانة، كُنتُ ظالمًا واضعًا للشَّيءِ في غير موضعه، وهذا التَّقدير - مع كونه ألْيَق

احتمال المعنى وجوب الشُّكر لله على نعمة الإيجاد، ولِعَزيز مِصْر على نعمة التَّربية

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/251.
(2) القاسميّ، محاسن التَّأويل: 6/164.
(3) طنطاويّ، الوسيط: 7/338.
(4) القاسميّ، محاسن التَّأويل: 6/164.
(5) حقّي، روح البيان: 4/234، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/401.

بالصَّالحين المراقِبين - أحسَنُ؛ لأنَّه يستلزم نُصْح العَزيز، ولو أعدنا الضَّمير على العزيز لَم يستلزم التَّقوى[1].

ويجوز أنْ يعود إلى معلوم مِن المقام، وهو زوجها الّذي لا يرضى بأن يمسّها غيرُه، وهذا قول أكثر المُفسّرين[2] فيكون ﴿رَبِّيٓ﴾ بمعنى: سيّدي ومالكي، فما جزاؤه أنْ أخونه في أهله؟[3] وهذا مِن الكلام المُوجَّه توجيهًا بليغًا حُكِيَ به كلام يوسف ﷺ إمّا لأنَّ يوسف ﷺ أَتى بمثل هذا التَّركيب في لغة القِبْطِ، وإمَّا لأنّه أَتى بتركيبَيْن فحكاهما القرآن بطريقة الإيجاز والتَّوجيه، فذكر وصْف الرَّبِّ على الاحتمالَيْن، لِما يُؤذِن به مِن وجوب طاعته وشُكره، على نعمة الإيجاد بالنِّسبة إلى الله، ونعمة التَّربية بالنّسبة لمَولاه العزيز[4].

بلاغة المَجازِ في قوله: ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾:

قوله: ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾؛ أيْ: أحسَن تعهُّدي، إذ قال لك فيَّ: أكرمي مثواه، فما جزاؤه أنْ أخونه في أهله، ففي الكلام إشارة إلى أنَّ ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ كناية عن إحسان تعهُّده، وإسنادُ الإحسان إليه مَجازٌ عقليٌّ[5]؛ لكونه أمرًا أشار إليه بقوله: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ [يوسف: 21][6]، وفي هذا المَجاز إرشاد لها إلى رعاية حقّ العزيز بألطف وجه[7]، وهو ملْمح وَجيهٌ، يُعَدُّ "تعليلًا للامتناع ببعض الأسباب الخارجيّةِ - ممّا عسى يكون مُؤثّرًا عندها وداعيًا لها - إلى اعتباره بعدَ التّنبيهِ على سببه الذّاتيّ الّذي لا تكاد تَقبله لِما سوّلتْه لها نفسُها"[8].

إرشـــاد المـــرأة إلى رعـايـة حَـقِّ العزيز، بألطف وجْـــه، وأرَقّ عبارة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/62.
(2) البغويّ، معالم التَّنزيل: 2/483.
(3) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 3/160.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/252.
(5) وهذا باعتبار أنَّ قوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾، يُريد به عزيز مصر.
(6) المظهريّ، التَّفسير المظهريّ: 5/152، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/289.
(7) القاسميّ، محاسن التَّأويل: 6/164.
(8) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/265.

دلالة التَّأكيد والاسمية في ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾:

جملةُ: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ تعليلٌ مُؤَكّدٌ لامتناعه، وتعريضٌ بها في خيانة عهْدِها، وفي هذا الكلام عِبْرةٌ عظيمة مِن العَفاف والتَّقوى وعِصمة الأنبياء قبلَ النُّبوَّة مِن الكبائر[1]. وفيها أيضًا تذكيرٌ لها بألطف أسلوب بحقوق الله تعالى وبحقوق زوجها، وتنبيهٌ لها على وجوب الإقلاع عمّا تُريده منه مِن مُواقَعتِها؛ لأنَّه يُؤدّي إلى غضب الله وغضب زوجها عليها[2].

التَّعليل داعٍ للامتناع عن الخيانة، والبيان دالٌّ على استحالة فعل ذلك

دلالة الجملة ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾:

أكَّد النَّظم الكريم شُكْرَ يوسف عليه السلام ربَّه الخالق العظيم على نعمة الإيجاد، وشُكرَ عَزيز مِصر على نعمة التَّربية والتّنشئة والرّعاية، بالجملة الخبريّة: ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾؛ أيْ: جعل آخِرَتي حُسْنى، إذ أنقَذني مِن الهلاك، أو أكرَم كفالتي[3] بأوْجز عبارةٍ وألطَف إشارةٍ، سائلًا الله بقوله: "أعوذ بالله معاذًا وألوذُ نحوَه سبحانه أنْ يَعصمني عن أمثال هذه الفَعلة الذّميمة، والدّيْدنة القبيحة، ولا سيّما مع مَن يُربّيني ويُحسِن إليَّ، فكيف إنَّهُ - أي الشّأن هذا - رَبِّي يُربّيني بأنواع اللّطف والكرم؛ بأنْ أَحْسَنَ مَثْوايَ، وأوْصَلني بإحسانه، فكيف أُسيءُ في مقابلة إحسان مُحسِني، ومُتولّي أمْري، ومُتولّي نِعمي"[4].

تأكيد شُكْرِ المُنْعِمينَ بِأَوْجَزِ عبارة وألطف إشارة

سِرُّ تَكَرُّر التَّعليل في الآية:

جملة: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ تعليل ثانٍ للامتناع منه عن إجابتها[5] دلالة على قبيح مضمون طلَبِها، وشدَّة إنكاره له، والتَّقدير:

تعليلٌ ثانٍ للامتناع منه عن إجابتها، لفَداحة مضمون طلَبِها

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/252.
(2) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 7/338.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/252.
(4) علوان، الفواتح الإلهيّة: 1/371.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/252، والهرريّ، حدائق الرّوح والرَّيحان: 13/370.

إنَّ الظَّالم بِوَضْعِ الشّيء في غير مَوضعه، يَخيب في سعيه ويَخسر في دُنياه وأُخراه، ولا يُفلح أبدًا، فكيف أرضى لنفسي ولك بذلك[1].

دلالة ضمير الشَّأن في ﴿إِنَّهُۥ﴾:

بيان أهميَّة الجملة المَجعولة خَبرًا عنه، لكونها مَوعظةً جامعة

قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وفيه الضَّمير المَجعول اسمًا لـ(إنَّ) ضمير الشَّأن، يُفيد أهميَّة الجملة المجعولة خَبرًا عنه؛ لأنَّها موعظة جامعة[2]؛ والتَّقدير: إنَّ الشَّأن في سنَّة الله في خَلْقه وعدالته، هو أنَّه لا يفوز الظَّالمون[3] ولا يَظفرون بمطالبهم؛ ومِن جملة الظَّالمين، أولئك الّذين وَقَعوا في مثل هذه المعصية الّتي تطلُبها امرأة العزيز[4].

دلالة النَّفي في ﴿لَا يُفۡلِحُ﴾:

نفي الفلاح الدُّنيويّ والأُخرويّ مِن جميع النَّواحي؛ تيئيسٌ مِن حالهم

الفلاح هو الظَّفر والفوز بالبُغية[5]، ونَفْيُ الفلاح عن الظَّالمين لأنفُسهم، والظَّالمين للنّاس بخيانة وتعدٍّ على الأعراض، هو نفْي فَوزهم في دُنياهم وأُخراهم، فلا يُفلح الظّالمون في الدُّنيا ببُلوغ الإمامة والرّئاسة، ولا في الآخرة بالوصول إلى رضوان الله تعالى، ودخول جنّات النّعيم، فأمَّا في الدُّنيا فيُعاقَبون بالعِلل والأسقام، والذُّلِّ بعدَ العِزِّ، والفقْر بعدَ الغِنى، وغير ذلك مِن الآفات، وأمَّا في الآخرة فالجحيم والزَّمهَرير، ومَن فاتتْه عُقوبة الدُّنيا لَم يُفلت مِن عقوبة الآخِرة[6].

فائدة التَّعبير بلفظ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

اتّساع العبارة للإيماء إلى شهامة يوسف، وكرَم سيِّده، والتَّعريض بخيانة امرأته

لفظ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾،

(1) الجزائريّ، أيسر التَّفاسير: 2/605.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/252.
(3) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ: 6/1252، وشحاتة، تفسير القرآن الكريم: 12/2311.
(4) القنّوجيّ، فتح البيان: 3/400.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/256.
(6) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ: 6/1252، وشحاتة، تفسير القرآن الكريم: 12/2311.

معناه: العَريقون في الظُّلم، وهو وضْع الشَّيء في غير مَوْضِعِه[1]، وأشار هُنا إلى أنَّ إجابتها لِما راوَدتْه ظلْمٌ؛ لأنَّ فيها ظُلْمًا لنَفْسه بارتكاب مَعصية، ممَّا اتّفقت الأديان على أنَّها كبيرة، وظُلْمًا لسيِّده الّذي آمنَه على بيته، وآمنَها على نفْسها؛ إذ اتّخذها زوجًا وأحصنَها[2]، وفي هذا إيماء إلى الاعتزاز بيوسف ﷺ، والأمانة لسيّده، والتَّعريضُ بخيانة امرأته[3].

دلالة مقابلة الغواية بالعفاف:

إثبات أنَّ الاعتصام بالله والتّعفّف عن المُغريات، عِصمة وحماية ونجاة

المتأمِّلُ في هذه الآية الكريمة، يرى أنَّ القرآن الكريم قد قابل دواعي الغواية الثَّلاثة الّتي جاهرت بها امرأة العزيز، والمتمثّلة في المراوَدة، وتَغليق الأبواب، وقولها: ﴿هَيْتَ لَكَۚ﴾، بدواعي العفاف الثَّلاثة الّتي رَدَّ بها عليها يوسف، والمتمثِّلة في قوله، كما حَكى القرآن عنه: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾، ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وذلك ليُثبت أنّ الاعتصام بالله مع التّحلّي بالعفاف والشَّرف، كان سلاح يوسف ﷺ في تلك المعركة العنيفة، بيْن نداء الايمان والعقل مِن جِهة، ونداء الشَّهوة والهوى مِن جهة أُخرى[4].

وجاء هذا التَّرتيب في غاية الحُسن، وذلك لأنَّ الانقياد لأمْر الله تعالى وتكليفه، أهمُّ الأشياء، لكثرة إنعامه وألطافه في حقِّ العبد، فقوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ إشارة إلى أنَّ حقّ الله تعالى يَمنع عن هذا العمل، وأيضًا حقوقُ الخَلْق واجبَةُ الرِّعاية، فلمَّا كان هذا الرَّجل قد أنعم في حقِّي، يقبح مُقابلَة إنعامه وإحسانه بالإساءة، وأيضًا صوْن النَّفْس عن الضَّرر واجب، وهذه اللَّذة لذّة قليلة يتْبعها خِزي في الدُّنيا، وعذاب شديد في الآخِرة، واللَّذة القليلة إذا لزمها ضررٌ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 10/62.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/252.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 12/129.
(4) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 7/338.

شديد، فالعقل يقتضي تَرْكها، والاحتزاز عنها، فقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، إشارة إليه، فثبت أنَّ هذه الجوابات الثَّلاثة مُرتَّبة على أحسن وجوه التَّرتيب[1].

يُزاد على ذلك أنَّه قد علله مِن جهات، أوَّلًا: أنَّه مُنكَر فاحش، يجب أنْ يُعاذ منه باللّٰه، ويُلجأ إليه بالخلاص مِن قُربانه، لِما عَلِمَ بتعليم اللّٰه إيَّاه مِن قُبحه وسوء عاقبته. ثانيًا: أنّ زوجها سيِّده، وقد أحسن إليه، وأوصاها بإكرامه، فكيف يُمكن أنْ يُسيء إليه بالخيانة، وهو سببٌ ظاهريٌّ ذَكَره لها عَلَّهُ يُؤثِّر فيها، فترْدَع وتزْجر نفْسها ممَّا سَوَّلت لها به. ثالثًا: أنَّ مَن يفعل هذا الفعل الخبيث، يكون ظالمًا مَحروم الظَّفر، بالبُغية الطَّيّبة والسَّعادة ورَفاه العيْش في الدُّنيا والآخِرة، وأنَّ إجابة طلَبِها في غاية الخِسَّة ومنتهى الرَّذالة، تُجاه مَن يتعاهده بالخير ويعطف عليه، ومع كلِّ هذا، لَم يُؤَثِّر فيها، لِما داخل قلبَها مِن حُبِّه، فأدركتْه وأقبلَت عليه، وحرَّضتْه وحذَّرَته، فلَم يفعل، وأكَّدَ لها إعراضَه، ووعَظها بما أوتيه مِن فصاحة في اللَّفظ، وبلاغة في المعنى، وشِدَّة في الخِطاب، وهي عن ذلك بمَعْزل، فرمَتْ نفْسها إليه، وعكفتْ بكُلِّها عليه[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المُراوَدة والطَّلب:

المراودة استمرار الطَّلب ومُداومته، وفيها معنى المُخادعة

الطَّلَبُ: مُحاوَلَةُ وجْدانِ الشَّيءِ وأَخْذِه[3]، والمُراوَدة مُفاعلَة مِن الإرادة، ويدلُّ بِناؤُها على استمرار الطّلب ومُداومته[4]؛ يُقال: راوَدْتُه على الأمْر مُراوَدة ورِوادًا: طلبْتُ منه فِعلَهُ مرّةً بَعد مَرّةٍ، وفي

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/437.
(2) ملّا حويش، تفسير القرآن العظيم: 3/189.
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (طلب).
(4) المصطفويّ، التّحقيق: 4/270 - 272.

المراوَدة معنى المُخادَعة؛ لأنَّ الطّالِبَ يتلَطَّف في طلَبِه تَلَطُّفَ المُخادِع، ويحرص حِرْصَهُ[1]، وراودَه: خادعَه وراوغَه، والمرأة عَن نفْسها: طلَبَ أنْ يفْجُر بها، وقد تكون المراوَدة مِن المَرْأة، وفي التَّنْزيل الْعَزيز: ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾[2]، والمُطالَبة تسْتَعْمل في العيْن، يُقال: طالبَ زيدٌ عمْرًا بالدَّراهِم. والمراوَدة: لا تُسْتَعْمل إلّا في العمَل، يُقال: راودَه عن المساعدَة. ولِهذا يَتعدّى فِعْلُ المراوَدة إلى مفعول ثانٍ بِنفْسه، والمطالَبة بِالْباء، وذلك لأَنّ الشّغل مَنوط بِاخْتيار الفاعِل، والعيْن قد توجَد مِن غيْر اختيار مِنْهُ[3]. ولأنّ صَنيع امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام فعلٌ متضمّنٌ معنى المُخادَعة؛ إذ استدرجتْه إلى مخْدعها وغلّقَت الأبواب، وداومَت على طلَبِها، وأصرّت ولحقَتْه إلى أنْ قدّت قميصَه مِن دُبرٍ كان اصطفاء لفظ المراوَدة أنسَب للسّياق والحال مِن لفظ الطّلَب.

(1) الفيّوميّ، المصباح المنير: 1/245، والمصطفويّ، التّحقيق: 4/270.
(2) مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الوسيط: 1/381.
(3) الكفويّ، الكلّيات، ص: 867.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»